﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: 137]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تسلية المؤمنين بيوم أُحد بالاعتبار بأحوال الأمم الماضية

ضرب القرآن الكريم المثلَ فيما حصل للأمم الماضية من أحوال المطيعين والعاصين، بالتمهيد لإعادة الكلام على ما كان يوم أحد، وما بينهما استطرادٌ، وهذا مقدَّمة التَّسلية والبشارة الآتيتين، ابتدئت هذه المقدَّمة بحقيقة تاريخية، وهي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية[1]. قال الرَّازيُّ: " اعلم أنَّ الله تعالى لمَّا وعد على الطَّاعة، والتَّوبة من المعصية الغفرانَ والجنَّاتِ، أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطَّاعة وعلى التَّوبة من المعصية، وهو تأمُّل أحوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين"[2].

في مشاهدة مصارع الماضين الأشدّ خلقًا، والأقوى هممًا، والأكثر عددًا مبلغُ الاعتبار، ومنتهى العظة

قال البقاعيُّ: " ولمَّا فرغ من بيان الزَّلل الذي وقع لهم به الخلل، والتَّرهيب ممَّا يوقع فيه، والتَّرغيب فيما ينجِّي منه في تلك الأساليب التي هي أحلى من رائق الزُّلال، ولذيذِ الوصال، بعد طول المطال، أخذ يشجِّعهم على الجهاد لذوي الفَساد، فبدأ بالسَّبب الأقوى، وهو الأمر بمشاهدة مصارعِ مَن مضى من المكذِّبين برؤية ديارهم وتتبُّع آثارِهم، مع أنَّهم كانوا أشدَّ خَلْقًا وأقوى هِممًا وأكثر عَددًا وأحكم عُدَدًا"[3].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَلَتۡ﴾، بمعنى: مضت، وانقرضت، وأصل الخلوِّ في اللُّغة:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/95.
(2) الرّازي: مفاتيح الغيب: 9/369.
(3) البقاعي: نظم الدرر: 5/76.

يدلُّ على تعرِّي شيء عن شيء، والمكان الخالي: هو المنفرد عمَّن فيه، فالخُلُوُّ بمعنى: الانفراد[1]، ويستعمل أيضًا في الزَّمان، بمعنى: المضيِّ؛ لأنَّ ما مضى انفرد عن الوجود، وخلا عنه[2].

2) ﴿سُنَنٌ﴾: السُّنَّة في أصل اللُّغة بمعنى: الطَّريقة، ويشير أصلها إلى: جريان الشَّيء واطِّراده في سهولة، واشتُقَّ منها السُّنَّة بمعنى: السِّيرة، والمراد بالسُّنن: ما سنَّهُ الله في الأمم الماضية من وقائعه، أي: قد خلت من قبلُ في غير زمانكم وقائعُ سنَّها الله في الأمم المكذِّبة بالهلاك والاستئصال، لأجل مخالفتهم الأنبياء، فالسُّنَّة بمعنى: الطَّريقة، والجمع سنن، والمعنى: وسنَّة الله، أي: طريقة شرائعه، وسنَّة النَّبيِّ ﷺ: طريقته التي كان يتحرَّاها[3].

3) ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: النَّظر في اللغة هو: تأمُّل الشيء ومعاينته، وذكر الرَّاغب أنَّ النَّظَر: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشَّيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ، يقال: نَظَرْتَ، فلم تَنْظُرْ، أي: لم تَتَأَمَّلْ، ولم تَتَرَوَّ[4]. والمعنى: فتأمَّلوا، وتفكَّروا، والنَّظر هو: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشَّيء ورؤيته.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لَمَّا ابتُلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحدٍ؛ أَخْبرَ تعالى عبادَه المؤمنين وسلَّاهم، بأنه قد مَضَى قبلهم أجيالٌ وأممٌ كثيرة ابتُلِي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فكانت العاقبةُ لهم، فسيروا في الأرض معتبرين بما آل إليه أمرُ أولئك المكذِّبين بالله وبرسله؛ إذ قد خَوت ديارُهم، وتبيَّن لكلِّ أحد خسرانُهم، وذهب عزُّهم وملكُهم، وزال بذَخُهم وفخرُهم[5].

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (خلو).
(2) القنوجي، فتح البيان: 2/337.
(3) السَّمين، عمدة الحفَّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سنن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نظر).
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 67، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 67.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغة الفصل في الآية:

وجه الاستئناف تسليةُ المؤمنين، والتمهيدُ لإعادة الكلام اعتبارًا وعظةً

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ استئنافٌ فيه تسلية للمؤمنين عما أصابهم من الحزن والكآبة، وتمهيدٌ لإعادة الكلام على ما كان يوم أحد. عظةً، واعتبارًا ما حصل فيها.

### بلاغة افتتاح الآية بـ ﴿قَدْ﴾:

في تحقيقيّة (قد) بيانٌ لسنّة الله في زوال الظّالمين، وأنَّ العاقبة للمتّقين

وحرف ﴿قَدْ﴾ في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ يفيد التَّحقيق؛ إذا دخل على الفعل الماضي، وهي في الجملة الفعليَّة المجاب بها القسم، مثل: إنَّ، واللام في الاسميَّة المجاب بها في إفادة التَّوكيد. وجيء بحرف ﴿قَدْ﴾ الدالِّ على تأكيد الخبر، تنزيلًا لهم منزلة من ينكر ذلك، لمَّا ظهر عليهم من انكسار الخواطر من جرَّاء الهزيمة الحاصلة لهم من المشركين، مع أنَّهم يقاتلون لنصر دين الله، وبعد أن ذاقوا حلاوة النَّصر يوم بدر، فبيَّن الله لهم أنَّه جعل سنَّة هذا العالم أن تكون الأحوال فيه سجالًا ومداولةً، وذكَّرهم بأحوال الأمم الماضية[1].

### بلاغة التَّعبير في الحثِّ على السَّير في الأرض:

دلالة السَّير في الأرض دون قراءة الكتب للاعتبار بالأمم الماضية

جملة ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ معطوفة على ما قبلها، والتَّسبيب في هذه الألفاظ ظاهر، أي: سبب الأمر بالسَّير؛ لينظروا نظر اعتبار خُلُوَّ من قبلكم من الأمم وطرائقهم، ويمكن أن تكون الفاء للشَّرط؛ لأنَّ المعنى: إن شككتم؛ فسيروا[2]، والأولى: هو القول الأوَّل؛ لظهور المعنى ومناسبة السِّياق. والسَّيْر: هو المضيُّ في الأرض؛ إمَّا سيرٌ على الأرض بالأقدام، أو سيرٌ في إجالة الفكر بالاعتبار؛ فيكون المعنى: سيروا بأقدامكم أو بأفهامكم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/96.
(2) السمين، الدر المصون: 3/400.

### بلاغة المجاز المرسل في جملة السير في الأرض:

الأمـــر بالسير هنا مجاز عن التفكر، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس

في قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه أمر السير؛ لإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضا على أن ينظروا في عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا. وهذا من قبيل المجاز المرسل والعلاقة في هذا المجاز ما يؤول إليه أمر السير في الأرض من التفكّر، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس[1].

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### النَّظر وغيره من ألفاظ الرُّؤية:

استخدم القرآنُ في ألفاظ الرُّؤية البصرَ والنَّظرَ والرُّؤيةَ ونحوها، وإليك بيانَها؛ ليتَّضح بالتَّحديد معنى النَّظر خلالَ موازنتها بما يرادفها من ألفاظ.

فالنَّظر - كما سبق - هو: "تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشَّيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ، يقال: نَظَرْتَ، فلم تَنْظُرْ، أي: لم تَتَأَمَّلْ، ولم تَتَرَوّ"[2]، ومما يشبه النظر في المعنى:

**أولاً: البصر:**

البصر: اسم للرُّؤية، وقد يُطلق على العين مجازًا؛ بوصفها أداةَ الإبصار، ويسمَّى العلم بالشَّيء - إذا كان جليًّا - بصرًا[3]، وذكر الرَّاغب الأصفهانيُّ أنَّ البصر يقال للجارحة النَّاظرة، وللقوَّة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر، وجمعُ البصر: أبْصار، وجمع البصيرة: بصائرُ[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 3/351، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/88، وصافي، الجدول: 4/316.
(2) الراغب، المفردات: (نظر).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 65.
(4) الراغب، المفردات: (بصر).

**ثانيًا: الرُّؤية:**

الرُّؤية: هي معاينة المرئيِّ وتمييزُه، سواء كان بالبصر - وهو الأصل في الاستعمال - أو بالقلب، والرؤية البصريَّة تحتاج إلى مفعول واحد، فإذا عُدِّي فعل النَّظر بـ (إلى)؛ اقتضى معنى النَّظر المؤدِّي إلى الاعتبار، أمَّا الرُّؤية القلبيَّة؛ فتتعدَّى لأكثر من مفعول، وتقتضي معنى العلم، ولعلَّه يفيد معنى الظنِّ، وعدَّ أبو هلال العسكريُّ أنَّ الرُّؤيةَ في اللُّغة على ثلاثة أوجه: أحدها: العلم، والثَّاني: بمعنى الظَّنِّ، واستعمال الرُّؤية في هذين الوجهين مجازٌ، أمَّا الوجه الثَّالث؛ فهو رؤية العين، وهي حقيقة[1]، أمَّا الرَّاغب الأصفهانيُّ، فعدَّ الرُّؤية أضربًا، بحسب قوى النَّفس: الأوَّل: الحاسَّة وما يجري مجراها، والثَّاني: بالوهم والتَّخيُّل، والثَّالث: بالتَّفكُّر، والرَّابع: بالعقل[2].

**ثالثًا: الطَّرْف:**

الطَّرْفُ: يَدُلُّ عَلَى حَدِّ الشَّيْءِ وَحَرْفِهِ، أي: جانب الشَّيء، ومن ذلك قَوْلُهُمْ: عَيْنٌ مَطْرُوفَةٌ؛ وَذَلِكَ أَنْ يُصِيبَهَا طَرَفُ شَيْءٍ ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ فَتَغْرَوْرِقَ دَمْعًا، ويَدُلُّ الطَّرْفُ - أيضًا - عَلَى حَرَكَةٍ فِي العين، وَهُوَ تَحْرِيكُ الْجُفُونِ فِي النَّظَرِ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ يُسَمُّونَ الْعَيْنَ الطَّرْفَ مَجَازًا، ويعبَّر به عن النَّظر؛ إذ كان تحريكُ الجفن لازمَه النَّظر[3]، وطَرف بَصَرَه، بمعنى: أطبق أحدَ جَفْنَيه على الآخر، فالجفن غطاء العين فهو كالنهاية المتدلية، وإطباق الجفن إيقاف للنظر كالإنهاء أيضًا. والطَّرْف: العين الباصرة، ومنه قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: 43]، أي: لا ترجع إليهم أبصارُهم من شدَّة النظر، فهي شاخصة النظر[4]. وقالوا: الطوارف: العيون، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصافات: 48]، أي: يقصرن نظرهنَّ على من هُيِّئْنَ له، ولا تجد منهنَّ أيَّ نظرة ولو جانبيَّة لغير أزواجهنَّ.

**رابعًا: اللَّمح:**

واللَّمح: هو النَّظر بسرعة، أي: الرُّؤية الخاطفة، يقال: لمحته في مكان كذا، أي: رأيته رؤية خاطفة، وعدَّ الرَّاغب أنَّ اللَّمح بمعنى: الوضوح، فقال: "اللَّمح: لمعان البرق، ورأيته

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 75.
(2) الراغب، المفردات: (رأى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (طرف).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/377، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طرف).

لمحة البرق، ويقال: لأرينَّك لمحًا باصرًا، أي: أمرًا واضحًا"[1]، إلَّا أنَّ اعتبار اللَّمح هو النَّظرة السَّريعة أولى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر: 50]، أي: السَّاعة أو جميع الأمور كلمحة واحدة سريعة، كلمح البصر في سرعته.

(1) الراغب، المفردات: 1/647.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»